الشعر موقف حضاري

بقلم محمد الجزائري

في امسية اتحاد الادباء في العراق ، الاولى .. كان الشعر بندقية واغنية .. ففي مساء العاشر من حزيران ١٩٧٠ دعت لجنة « الاماسي والمحاضرات » في اتحاد الادباء الى حضور اولى نشاطاتها الثقافية .. وكانت امسية « حزيران والشعر » التي غصت بها ، جمهورا ، حديقة جمعية الصداقة العراقية ـ السوفيتية : المقر المؤقت للاتحاد .

والامسية الشعرية اعطت اكثر من دلالة ، ليس في نجاح تجاوب الجمهور معها ، حسب ، ولا في الوجوه الجديدة العديدة التي استمعت للشعراء .. بل وفي مغزى الكلمة حين تتحول الى فصل حضاري .

المسهمون في الامسية كلهم من الشعراء :

محمد مهدي الجواهري ، حميد سعيد ، خالد علي مصطفى ، مي مظفر ، محمد سعيد الصقار ، عبد الامير معله ، عبد الرزاق عبد الواحد ..

افتتح الامسية الجواهري رئيس الاتحاد السابق ورئيس الهيئة التأسيسية للاتحاد الحالي ، بكلمة عن الاتحاد .. كانت روحه تحلق في الذاكرة وقد اعاد لنا بناء هذه الذاكرة في جزئيات الزمن :

الماضي في صورة الاتحاد القديم ، والحاضر والمستقبل في صورة الاتحاد الجديد ، واعطى بكلمات قليلة وذات دلالة ، المعنى الايجابي لحركة التاريخ .. وان الشعر لغة واداء ، وان الشعراء كائنات وتكوينات ، ذات تشكيل حضاري يبدأ من الماضي ويستمر في الحاضر ويمتد الى المستقبل ..

ومن هنا ، فرحنا .. ليس لان بناية الاتحاد القديم ، ستعود للاتحاد الجديد ، كما اعلن الجواهري ، حسب ، بل لان التحام هذه الجمهرة من الطاقات سيغني تاريخنا الحديث ، بشعر جديد معطر ، له نكهة البارود وطعم الاغنية ..

وحين وقف الاستاذ حميد سعيد سكرتير الشؤون الثقافية في الاتحاد ورئيس لجنة الاماسي والمحاضرات ، متحدثا عن « الشعر والثورة » ركز على حقيقة ان الشعر موقف حضاري .. واكد بكلمات قليلة وذات دلالة ايضا بأن الذين يقولون ان زمن الشعر قد مضى ، بعد حزيران ، وان زمن حزيران هو زمن البندقية فهم خاطئون .. لان الشعر موقف حضاري ، وان معركتنا مع العدو معركة حضارية ، نستعمل فيها التكنولوجيا والعلم ، الى جانب الشعر والكلمة ..

وهذا التحديد هو ، في الواقع ، ما ترسمه الحقيقة ، .. فالكلمة هي كائن حي ، والتعامل معها ، هو اصعب مهمات الشاعر .. لذا فأن منطلقات الشاعر حميد سعيد في كلمته ، كانت واعية لمهام الشاعر ووظيفته الحيانية الجديدة . وهو يواجه معركة السلاح والفانتوم ..

قد يكون « الشعر هو ما يعبر عن الانسان وعن العالم الذي لا تتوقف ابدا حركة بنائه » كما كان يؤمن سان جون بيرس ، فتتبع شاعريته من التزام بهذه القيم .. « فالقصيدة لا تكون جميلة على طريقة الرسم الهندسي او الخطب ، أي ان جمالها لا ينبع من كمال ما تمثل ، او ما تشرح .. انها تؤثر فينا كما لو كانت كائنا حقيقيا ، مثل البحر والشمس، وهي جميلة لا فيما تقرر ، بل جميلة كالشجرة..» كما قال غارودي ، مرة ..

لذا فحين وقف الشاعر الفلسطيني خالد علي مصطفى ، ليغني لنا صوت فلسطين ـ الثورة .. في مقطع من قصيدته الطويلة « سفر بين الينابيع » ، لم يكن صوته وليد ذاته ، حسب ، بل كانت ذاته ملتحمة بالارض ، بالقضية ، بالوجود العاتي لحركة التحرر ..

كانت الكلمة عنده ملتهبة ، حارة ، ذات دفقات ساحقة من دم القلب .. فبدم القلب يكتب الشاعر الفلسطيني اغانيه .. ويغني اغترابه ولوعته ، أمله وألمه ، تفاعله مع الاحداث ، وتأثيره بها .. كان صوتا ينفض عنه غبار سنين السلب ، سنين النكسة ـ النكبة .. فهو يسجل وعيا للتاريخ ، ووعيا للانسان المقاتل الذي يصنع هذا التاريخ عبر نشاطيته الجماعية ، وعبر مراسه الخاص ..

وقد اكدت قصيدة خالد فهم الموقف الحضاري للشعر ، وتداخلت مع كلمة حميد سعيد ، لتسجل اشارة رفض لكل العقليات التي تسيء فهم الشعر عبر الظاهرات الحياتية وعبر التلاحم العضوي للاشياء ..

ثم .. كان الصوت الآخر .. جزءا من الموقف الحضاري ، انه صوت الحزن الرومانسي ، عبر احساس امرأة ، فكانت قصيدتا الآنسة مي مظفر ، اسهاما ، هو الآخر ، يسجل وعيا بالشعر ، كموقف حضاري ..

غنت مي ذاتها ايضا ، ولكن عبر قلق الانسان المعاصر واغترابه .. فهي ، اذن ، غنت حزيران الاسباب ، حزيران الحضارة ، التي حاولت معاول العدوان الاسرائيلي الامبريالي الصهيوني ، وكل المعاول الرجعية ان تهدمه .. عبر « بطاقة من مغترب » .

يقول بول جيرالدي : « انما تنشد في الحب ، الصداقة » .. وقد احسسنا صداقة وحبا في قصيدتي مي .. وحتى في صوتها

الناعس الخجل ..

وحين « تُنشد في الحب ، الصداقة » يكون لسقف الوطن اركان يقف عليها .. ولسماء الوطن ذلك الحب العميق ، العميق ..

فاليوم ، واليوم بالذات ، « لم يعد المطلوب التأثير عن طريق العرض العاطفي لاي حدث عادي ، ولكن يجب ان يكون هذا التأثير بنقاء واتساع تأثير السماء المرصعة بالنجوم ، وتأثير البحر الهادىء العظيم والفاجع .. وتأثير المأساة الكبيرة الصامتة التي سطرها السحب تحت الشمس » كما قال بيير ريفردي في « القفاز المصنوع من شعر النخيل» عام ١٩٢٦ .

فمي مظفر غنت « تأثير المأساة الكبيرة الصامتة » عليها .. فكان شعرها عذابا خاصا وجدناه في حزيران ، وقبله ، ونجده معجونا بدمنا ، وبالشوك والصبار الذي ينغرس في اعماقنا بعد حزيران ايضا ..

اذن .. لاي مدى اتسع مفهوم الشعر كموقف حضاري في امسية اتحادنا الادبي ، الاولى ؟

لنتابع بقية الاصوات :

الشاعر محمد سعيد الصكار ، حين قدمنا قصائده على انها « بدايات حزيرانية » لم يكن في تقديمنا اي مبالغة ، فحزيران الحدث، كان امتدادا لوقائع البصرة ، بعد خالد بن صفوان ، وبعد « ابن مقله » وبعد البعد ! ..

وبتكثيف اللقطة ، وبروح السخرية المرة من سلبيات الواقع ، وبشفافية الاسلوب ، واناقة اختيار الكلمة .. خط محمد سعيد الصكار قصائده .. وغناها ، فجاءت وعيا آخر للشعر كموقف حضاري .. وعيا حمل معه الادانة ، وحمل معه الرفض ، وحمل معه البديل الى اذهاننا ، وحملنا هذا السؤال : ماذا يجب أن يكون عليه عالمنا بعد النكسة ؟

والسؤال كبير ـ في حد ذاته ـ لكننا واثقون من ان الشاعر معنا، ايضا ، « على قارعة الطريق ومع رجال عصره » فلنسر « بسرعة عصرنا، بسرعة الريح العظيمة » ـ كما قال سان جون بيرس ..

فمهمة الشاعر ، اذن ، بيننا ، هي : « توضيح الرسالات » ، وهذا ما طرحه علينا الصكار بصوته المتالم الحزين ، وبرومانسيته الحادة ، وبالتقاطاته الواعية لتجارب التاريخ ، ثم .. بهذا الفيض الغزير من المشاعر الانيقة المكثفة ، بهذا الموقف الحضاري الذي يريد من الشعر ان يسهم في عمليات البناء ، في ان تتحول اصواتنا الى فعل ثوري .. لا الى « خشب » !

وكانت « الصرخة » ، صرخة الالم المدوية ، تشهرها الينا بحماس الفتى الملتهب المشاعر ، الشاعر عبد الامير معله .. في قصيدتين: « الاجنحة » و « آت الينا » .. فكيف كان تعامل معله ، مع الشعر ، كموقف حضاري ؟

هل قدم لنا صرخة وسكت .. ام انه سعى لتغيير شيء في ذواتنا ؟..

احسست ، عبر التجاوب والتواجد، مع كلمات قصائده المتصالبة، دفقا من حرارة الالم ، من تلك الثورية التي تحس ان بالكلمة وحدها لا يصنع المجد .. ومع ذلك ، فالمجد « آت الينا » على رفيف «الاجنحة» المدماة ..

« الصرخة لتستبد بنا وسط الجماهير .. لا في الغرف » هذا ما اراد التعبير عنه الشاعر عبد الامير معله ، ونجح في ذلك ..

فلتنتشر قصائدنا في الجماهير « حتى تنعكس علينا الى حدود الادراك » و« لتنطلق قصائدنا في طريق الانسان تحمل البذرة والثمرة الى سلالات انسان ينتمي الى عصر آخر » ..

نحن نريد صوتا يختار ، والاختيار ، هنا ، مسؤولية .. نريد صوتا يعانق شغاف القلوب ، صوتا يلتهب حين يغني الشعر ، وصوتا يرف له الوجدان ، حارا ، ساخنا وقويا .. وهذا ما طرحه الشاعر معله .. في « الاجنحة » ثم في « آت الينا » ..

فماذا بعد ؟ ..

نقف ، اذن ، هنا ، وقفة من يستعيد انفاسه ، فقد احسسنا اننا نلهث انفعالا مع هذه الاصوات الحارة ، الحارة ..

وحاولنا ، ان نستعيد انفاسنا ، في شاعر « اوراق على رصيف الذاكرة » لكن الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد ، لم يقدم لنا نمطا من « اوراقه » السابقة لقد قذف بوجوهنا « الصور » ، وهي بناء محكم وحاد وعنيف ، رافض ومستقبل ، .. فقد احسسنا انه يقول لنا ، ما قاله الشاعر البلجيكي اميل فرهارين :

« حين افزع بلهفة وتوق الى النظم

فان افطار جسمي تهتز ، تتألم ، وتنتشي ،

وتتمشى الاوزان في عضلاتي واعصابي .. »

لكن الاوزان لم تتمش في عضلات واعصاب عبدالرزاق عبدالواحد نفسه ، بل تمشت ، وهي تفلي ، في اعصابنا جميعا ..

كان عبد الرزاق ، يشيلنا ويحطنا بقسوة .. كان يعنفنا ، يعنف سلب النكسة ، سلب حزيران ، ويدعو الى النشور عبر كل ما طرح التاريخ ، في قصيدته ، من نماذج ، من بلال الحبشي الى محمد الرسول والنبي ..

وحين استعيدت بعض مقاطع قصيدة خالد علي مصطفى، احسسنا بالفرح ، لان الشعر الجديد بات يؤثر في الجمهور المستمع ، كما يؤثر الشعر العمودي ..

وقد عمق عبد الرزاق عبد الواحد ، في الجمهور ، هذه الحقيقة ايضا ، حين استعيدت مقاطع عدة من قصيدته : « الصور » الملحمية البناء والنفس والتناول واللقطات ، عرفنا الشاعر عبد الرزاق على جوانب القوة في شعره الجديد .. في القفزة التي سجلها عبر « الصور » لنفسه ولشعرنا المعاصر .. كان التراث ، وكان التاريخ، وكان الحاضر ، وكان الماضي .. ، امانات حبيبة في قصيدة «الصور» ، وكانت التحاما عميق الدلالة والوعي ، لتشكيل هذه الازمنة ، عبر الاشياء والظاهرات ، والحوادث والشخوص ، ليعطينا موقفا حضاريا في الشعر ، يرفض ليس النكسة بل كل اسبابها وامتداداتها ، ويرفض ذاته التي كانت ، وذاته التي تتكون في حزيران .. انه يبحث في « الصور » عن ذات جماعية تغني « النشيد العظيم » شامخا ، هادرا ، عاصفا وقويا ..

ثم كان .. ما يجب ان يكون ..

ذلك الشعر الذي يفهم من قبل الجمهور المتلقي عند السماع ، حسب ، بل والذي يطرب الجمهور في الالم ، في الحب ، في الحزن ، وفي التفاؤل .. وفي مجمل عوامل الثورة الحضارية ..

كيف يجب ان تكون ؟.. تلك هي المسألة الحضارية التي طرحها عبد الرزاق عبد الواحد في « الصور » ..

وحاولنا ان نتنفس قليلا ، لكن « الصور » حاصرتنا ، القاء ومعاني ، صورا ودلالات ، نحتا للكلمة وشغفا بها .. وحاولنا ان نلقي ظهورنا على المقاعد ، لكن اجسامنا كانت مشدودة ومحدودبة في خيط النظر ، وفي خيط السمع ، وفي خيط التناغم ، مع الشاعر ..

ولما انتهى .. ظلت « الصور » تدور في رؤوسنا بعنف وتبعثنا الى « النشور » الجديد ..

وبعد هذا الفيض الشعري العنيف ، كان لا بد من شيء يعيد التوازن الينا ، كنا قد همسنا بأذن الجواهري الكبير ، كلمة ومحبة : ان الجمهور يريدك ان تغني له قصيدة جديدة انه جمهورك الطيب

الحبيب .. فوافق .. وظلت المسألة « سرا » حتى قمنا لنردد ابياتا قالها عبد الرزاق عبد الواحد ، نفسه ، في الجواهري ، حين عاد من منفاه :

ذيالك الشامخ الزاهي بقمته
وكل يوم له عن قمة سفر
مخضب بصروف الدهر منسره
محدودب لفراخ حوله نثروا
هذا الذي يرد البحر الذي وردوا
رهوا ، ويصدر عملاقا كما صدروا
سل « دجلة الخير » كم مست قوادمه
امواجها ، فنزا رقراقها الخصر
على جناحيه فطرا من تألقه
وشمس بغداد كانت هذه السور
فتارة خصر عذب كدجلته
وتارة مثل ذوب الشمس مستعر

ولقد كان استعارنا شديدا ، فماذا سيقدم لنا الجواهري الكبير بعد حر حزيران الشعري هذا ؟

وقام الجواهري متحدثا بتواضع ، عن سخونة القصائد التي القيت ، وقال : سأرشكم بدوش بارد بعد هذا الشعر الملتهب الذي قدمه الشباب ..

وكانت القصيدة ، جديدة .. من وحي فتاة « في مقهى فيولا » قال عنها الجواهري : سموها « عودة الشيخ الى صباه » ...

وغنى ابو فرات ، بعذوبة الشيخ ـ الشاب ، قصيدة غزل ثره ، لا اروع ولا احلى ولا عجب ، فهو ذياك الانسان الذي كتبنا عنه مرة قائلين :

« الذي غمر فخر الضنى والشعر رأسه بالمشيب .. وظل قلبه طريا شابا وثائرا .. » عاد ليغني ، وكم ابدع في الغناء ..

فما هي الدلالة التي طرحتها قصيدة الغزل الجديدة ، الجواهرية في امسية « حزيران والشعر » اذن ؟..

المسألة ، عندي ، ان نغني الجمال والحب ، فتلكم ايضا ضرورات تاريخية ، وحضارية تضاف الى ضرورات الثورة في بنادقها واسلحتها واقدام رجالها المقاتلين ..

ففلسطين لا تعاد بالبندقية وحدها .. ولكن بالاغنية النقية ايضا .. بالانجاز الحضاري .. وبكل معطيات انساننا الحضاري النبيل .. وهذا ما اكده الجواهري في قصيدته الغنائية الجديدة .. وهذا ما اكدته الامسية الشعرية في كل العطاء والخصب الذي فاض به الشعراء ..

بغداد — **محمد الجزائري**

صدر حديثا

- لماذا منظمة الاشتراكيين اللبنانيين
  قدم له محسن ابراهيم
- مذكرات حرب الفوار في كوريا ضد اليابان
- الاستراتيجية الطبقية للثورة
  جورج طرابيشي
- نماذج لتخطيط الاقتصاد الوطني الشامل
  ترجمة المهندس احمد رجب علي
- الحرب الثورية في فيتنام
  غابرييل بونيه
- مسحوق الهمس (مجموعة قصص)
  د. يوسف ادريس
- البيضاء (رواية)
  د. يوسف ادريس
- المقاومة الفلسطينية
  جيرار شاليان
- جيش الثورة
  المارشال توخاتشفسكي
- علم الاجتماع الماركسي
  كونستانتينوف وكيل
- الاقتصاد السياسي للتخلف
  باران ولاكوست
- الامير الحديث
  غرامشي
- المسألة الزراعية في تونس
  طلائع الحركة الثورية
- قضايا الاستراتيجية الثورية في امريكا اللاتينية
  ريجيس دوبريه
- حزب الإستقلال الجمهوري
  عادل الصلح
- احاديث في العمل الفدائي
  الدكتور منيف الرزاز
- القوى السياسية في لبنان
  محاضرات النادي الثقافي العربي
- الثورة الفلسطينية ، ابعادها وقضاياها
  ناجي علوش
- الامبريالية الجديدة
  ماكدوف وحمزة علوي

تحت الطبع :

- دراسات يسارية حول القضية الفلسطينية
  صادق جلال العظم
- ثلاث سنوات
  احمد بهاء الدين
- مناقشات حول القضية الفلسطينية
  وثائق جمعها ناجي علوش

دار الطليعة للطباعة والنشر
ص.ب ١٨١٣ ـ بيروت